Dirasat: Shari'a and Law Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

Praising the Holy Qur'an for Those who Believed among the People of the Book: An Inductive Objective Study in Al-I'mran Surah

Jamal Abedelrahem Saleh Abou Romman *

Department of the Origins of Religion, College of Shariah, Mutah University, Jordan.

Received: 24/10/2022
Revised: 12/12/2022
Accepted: 9/3/2023
Published: 1/9/2023

* *Corresponding author:*
AbuRomman@Mutah.edu.jo

Citation: Abou Romman, J. A. S. (2023). Praising the Holy Qur'an for Those who Believed among the People of the Book: An Inductive Objective Study in Al-I'mran Surah. Dirasat: Shari'a and Law Sciences, 50(3), 132–145.
https://doi.org/10.35516/law.v50i3.2898

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: Studying the verses that praised some of the People of the Book in Surat Al-Imran, and knowing the types of praise, its causes, and the effect on it.

Methods: I proceeded in this study according to the objective inductive method, by tracing and studying the relevant verses.

Results: The study concluded that the characteristic of performing the trust with which God described some of the People of the Book is not related to the human personality only, as some researchers have said, it may be motivated by some texts of the Bible. This confirms that the origin of religion is one. Allah says: (The religion with Allah is Islam) (Al-Imran/19), and that all monotheistic religions came with the same human values, Among the findings of this study is that the Almighty says: (And indeed, among the People of the Book are those who believe in God) verse (Al-Imran: 199). It was revealed about Al-Najashi - may God have mercy on him -; For the authenticity of the hadiths in this, and this does not contradict with the fact that the Qur'an is valid for every time and place.

Conclusions: The study recommends studying the verses of praise to the People of the Book contained in other chapters of the Holy Qur'an, researching their connotations, and deriving the types and causes of such praise, and its impact.

Keywords: People of the Book, praise, Al-I'mran.

ثناء القرآن الكريم على مَن آمن مِن أهل الكتاب دراسة استقرائيَّة موضوعيّة في سورة آل عمران

جمال عبد الرحيم صالح أبو رمان*

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة، الأردن.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى دراسة الآيات التي أثنت على بعض أهل الكتاب في سورة آل عمران، ومعرفة أنواع ذلك الثناء، وأسبابه، والأثر المترتب عليه.

المنهجية: اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي الموضوعي، وذلك بتتبع الآيات ذات الصلة ودراستها.

النتائج: توصَّلت الدراسة إلى أنّ صفة أداء الأمانة التي وصف الله بها بعض أهل الكتاب لا تعود إلى جانب الشخصية الإنسانية فقط، كما قال بعض الباحثين، فقد يكون دافعها بعض نصوص الإنجيل، وهذا يؤكد أنّ أصل الدين واحد، قال تعالى: (إنّ الدين عند الله الإسلام) (آل عمران/19)، وأنّ جميع الأديان السماوية جاءت بنفس القيم الإنسانيّة. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة أنّ قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) الآية (آل عمران/199) قد نزل في النجاشي ـ رحمه الله ـ؛ لصحة الأحاديث في ذلك، وهذا لا يتعارض مع كون القرآن صالحًا لكل زمان ومكان، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الخلاصة: إنّ السبب الرئيس في ثناء الله تعالى على أهل الكتاب هو إيمانهم بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد ـ ﷺ ـ نبيّاً ورسولاً، وهناك جماعة من أهل الكتاب أدَّوُا الأمانة، فأثنى الله تعالى عليهم بقوله ـ سبحانه ـ: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) الآية (آل عمران/75).

الكلمات الدالة: أهل الكتاب، الثناء، آل عمران.

المقدمة

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإنّ ممّا لا شك فيه أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله هداية للناس، كما أنزل - سبحانه - التوراة والإنجيل، هداية للناس من قبل، إلاّ أنّ هذين الكتابين قد حُرِّفا وغُيِّرا، ولمّا بَعَث الله تعالى نبيَّه محمَّداً - ﷺ - إلى الناس كافّة، آمن به مَن آمن، وكفر مَن كفر، وكان ممّن آمن به - ﷺ - طائفة من أهل الكتاب، فأثنى القرآن الكريم عليهم، وبيّن الصفات الإيجابيّة الخيّرة التي يتصفون بها، وإنّ من تلك السور التي تعدّد فيها الثناء على المؤمنين من أهل الكتاب سورة آل عمران، فتتبّعت تلك المواضع، ودرستها دراسة موضوعيّة.

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، ولا يدخل فيهم الصابؤون ولا المجوس(الجصاص،1405هـ، ص283).

أهمّيّة الدّراسة:

تتركّز أهمّيّة هذه الدراسة في تسليطها الضوء على الصفات الإيجابيّة لمن آمن وأسلم مِن أهل الكتاب، وبيان ما إنْ كانت هناك صفات إيجابيّة لهم، يتصفون بها حال بقائهم على يهوديّتهم أو نصرانيّتهم، وتوضيح ثمرة ذلك.

مشكلة الدّراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على سؤال مهم، وهو: ما موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب من خلال آيات سورة آل عمران في جانب المواقف الإيجابية الصادرة عنهم؟

أهداف الدراسة:

1- إبراز أنواع الثناء على أهل الكتاب، من خلال الصفات الإيجابيّة الخيّرة التي يتصف بها بعض اليهود وبعض النصارى، الذين تركوا معتقداتهم الباطلة، وآمنوا بالله تعالى، وشهدوا له بالوحدانية، ولنبيّه محمّد ـ ﷺ ـ بالرسالة، من خلال سورة آل عمران.

2- بيان أسباب الثناء على أهل الكتاب من خلال آيات سورة آل عمران، ومناقشة الآراء المخالفة.

3_ بيان الأثر المترتب على ثناء أهل الكتاب.

الدراسات السابقة:

لم أجد - بحسب جهدي في البحث - دراسة علميّة متخصصة بالبحث في الصفات الإيجابيّة الخيّرة التي وصف بها القرآن الكريم أهل الكتاب في سورة آل عمران، إنّما الموجود دراسات عامّة، منها:

1- (أهل الكتاب في القرآن الكريم، دراسة معجميّة في السياقات والمفاهيم اللفظيّة)، د.عبد الرحمن مرعي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان.

2- (آيات أهل الكتاب في القرآن الكريم، دراسة عقديّة)، حسن إبراهيم كريرة، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، نوقشت في عام 2011م، بإشراف ا.د.عبد المقصود حامد.

3- (الآيات المادحة لأهل الكتاب، عرض وبيان)، ا.د.محمد خازر المجالي. وهو بحث علميّ محكّم منشور في مجلة (دراسات) التابعة للجامعة الأردنيّة عام 2018م، ودراستي تتشابه مع دراسته في تناول آيات سورة آل عمران، إلا أنّ دراسة الدكتور المجالي ـ حفظه الله ـ قد شملت الآيات المادحة لأهل الكتاب في جميع القرآن الكريم، وأتفق معه في بعض المعاني التي وردت في بحثه، كقوله:(إنّ أهل الكتاب لم يكونوا جميعاً على مستوًى واحد من الأذى والمعاداة للمسلمين، وأنهم يجمعهم في الغالب بغض الإسلام وتمنيهم زواله)(المجالي،2018، ص5، بتصرف) فهذا صحيح، وأنّ أكثر الآيات جاءت ذامّة لأهل الكتاب، فهو صحيح أيضاً. وقد اختلفَتْ دراستي عن دراسته في كثير من الجوانب، منها أنّ الدكتور المجالي قد حكم على جميع الآيات المادحة لأهل الكتاب بأنّ مدحها إنما هو في ظاهرها، فعنوان بحثه(الآيات المادحة لأهل الكتاب)، والناظر في ثنايا بحثه يجده قد وضع عنواناً للآيات المادحة هكذا:(الآيات التي يوهم ظاهرها مدح أهل الكتاب)، وأدرج تحته جميع الآيات المادحة، وهذا مناقض لعنوان بحثه؛ فقوله:(يوهم ظاهرها) يدل على أنّ حقيقتها ذمّ لأهل الكتاب، ولكنه خالف نفسه في ثنايا بحثه تحت نفس العنوان، فذكر أنّ بعض المواضع من الآيات فيها مدح لبعض أهل الكتاب. ثمّ إنّ دراسته لم تتحدث عن أنواع الثناء على أهل الكتاب، ولا عن الأثر المترتّب على ثناء الله تعالى عليهم، ولم يفصّل القول في أسباب الثناء عليهم، إنما جاء عرضاً ومختصَراً، ثمّ إني لم أجد الباحث الكريم قد التزم بعنوان بحثه، إذ تعرّض في بحثه إلى ذكر الآيات الذّامّة لأهل الكتاب، ثمّ إنّ النتائج التي توصّل إليها الأستاذ الدكتور المجالي - حفظه الله - في بحثه تختلف عن النتائج التي توصّل إليها صاحب هذا البحث، فقد اختلفْت معه في الباعث على صفة الأمانة، التي اتصف بها بعض أهل الكتاب، وفي تقرير سبب نزول قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران/199)، مع اتفاقنا على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ثمّ إنّي رأيت أنّ الباحث الكريم لم يفصّل القول في تفسير الصفات التي وصف الله تعالى بها المؤمنين من أهل الكتاب، والتي هي عنوان الدراسة، مع ملاحظتي أنّ الباحث قد توسّع كثيراً في بحثه في الرّد على الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا - رحمهما الله تعالى - ممّا أخذ حيّزاً واسعاً من بحثه على حساب التفصيل في أصل الموضوع، أقول هذا مع شكري له لِمَا قدّم من جهد وعمل، فجزاه الله خيراً.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي لآيات سورة آل عمران، إذ قام الباحث بتتبُّع الآيات، للبحث عن الآيات التي تضمّنت الثناء على أهل الكتاب، والإطراء عليهم، فوثّقتها وعَكَفْتُ على دراستها، من خلال أمهات كتب التفسير، وقد سرت في التفسير على طريقة التفسير الموضوعيّ دون التفسير التحليليّ، لإبراز الموضوع من جوانبه المتعدّدة.

خطة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة مقسّمة إلى مقدّمة وأربعة مطالب وخاتمة، فيها أهمّ النتائج، أمّا المطالب فقد جاءت على النحو الآتي:

المطلب الأوّل: أنواع الثناء على أهل الكتاب في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أسباب الثناء على أهل الكتاب في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الأثر المترتب على الثناء على أهل الكتاب في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: من الآيات الذامة لأهل الكتاب في سورة آل عمران.

محدّدات الدراسة:

إنّ الحديث في هذا البحث إنّما هو عمّن آمن مِن أهل الكتاب بالله تعالى وحده، وبكل ما جاء من عنده ـ سبحانه وتعالى ـ، وآمن بنبيّنا محمّد ـ ﷺ ـ، وصدّق بكل ما جاء به. وهي دراسة مخصوصة بسورة آل عمران.

المطلب الأوّل: أنواع الثناء على أهل الكتاب في القرآن الكريم:

أولاً: الثناء عليهم في الأمانات الماديّة:

لقد أثنى الله تعالى على طائفة من أهل الكتاب بسبب أدائهم الأمانات الماديّة، وردها إلى أصحابها حين طلبها، فقال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران/75). هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران، وهي سورةٌ مدنيةٌ، وهي آية ضمن نيّف وثمانين آية، ذكر العلماء سبب نزولها، فقالوا: قدِم وفد نجران - وكانوا ستين راكباً - على رسول الله - ﷺ - وفيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، فالعاقب أمير القوم، وصاحب مشورتهم، الذي لا يصْدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح، والسيد إمامهم، وصاحب رحلهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، أسقفهم وحبرهم، وإمامهم وصاحب مِدراسهم، وكان قد شَرُفَ فيهم، ودرس كتبهم، حتى حَسُنَ علْمه في دينهم، وكانت ملوك الرّوم قد شرّفوه وموّلوه، وبنَوْا له الكنائس؛ لعلمه واجتهاده، فقدِموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودخلوا مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحَبِرات، جُبّات وأردية في جمال رجال الحارث بن كعب، يقول بعض من رآهم - من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا فصلّوا في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - ﷺ -:(دعُوهم)، فصلّوا إلى المشرق، فكلم السيدُ والعاقبُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال لهما رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -:(أسلِما)، فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال:(كذبتما، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير)، قالا: إنْ لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعاً في عيسى، فقال لهما النبي - ﷺ -:(ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه ؟) قالوا: بلى، قال:(ألستم تعلمون أنّ ربّنا حي لا يموت، وأنّ عيسى أتى عليه الفناء ؟) قالوا: بلى، قال:(ألستم تعلمون أنّ ربّنا قيّم على كل شئ يحفظه ويرزقه ؟) قالوا: بلى، قال:(فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟)، قالوا: لا، قال:(فإنّ ربّنا صور عيسى في الرّحِم كيف شاء، وربُّنا لا يأكل ولا يشرب ولا يُحْدِث ؟) قالوا: بلى، قال:(ألستم تعلمون أنّ عيسى حملتْه أمُّه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدَها، ثم غُذى كما يُغذى الصَّبِي، ثم كان يَطعم ويَشرب ويُحْدِث ؟) قالوا: بلى، قال:(فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟) فسكتوا، فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانين آية منها(النيسابوري، علي، 1992م).

وجاءت هذه الآية الكريمة تبيّن حقيقة اختلاف أهل الكتاب عن بعضهم بعض، في جانب المعاملات المادية، وخصوصًا في جانب أداء الأمانة، إذ بيّنت الآية أنَّ منهم الأَمِين، ومنهم دون ذلك.

مناسبة ترتيب الآية:

جاءت هذه الآية ضمن سلسلة آيات تتحدّث عن أهل الكتاب، وتبيّن ما هم عليه من الصفات، فكان من صفاتهم الكفر بالله، والشرك به، والمكر بأنبياء الله، وخلْط الحق بالباطل، وكتمان الحق،...الخ، ولا شكّ أنّها صفات ذميمة، تُخلّد صاحبها في نار جهنّم، فجاءت هذه الآية تستثني طائفة من أهل الكتاب، تؤدّي الأمانة الماديّة، وتحافظ عليها ولا تخونها، فكأنها تقول: ليس جميع أهل الكتاب متصفين بصفات السوء، فهؤلاء بعضٌ من كل، وهناك طائفة من أهل الكتاب تحمل في قلوبها الخير، وتؤدّي الأمانة إلى أهلها.

المعنى الإجماليّ للآية:

ميّزت الآية الكريمة بين أهل الكتاب في الحُكْم، إذ لم تحكم عليهم حكماً واحداً، فحكمت لطائفة منهم بالأمانة، وأداء الحقوق إلى أصحابها، مهما عَظُمت تلك الحقوق، من غير إبطاء أو تأخير في أداء تلك الأمانات إلى أهلها. وحكمت على طائفة أخرى بعكس ذلك.

إنّ الذي يعنينا في هذا البحث هم الطائفة الأولى، فبعض أهل الكتاب من يهود ونصارى مؤدون للأمانة إلى أهلها، وقد وجّهت الآية الخطاب إلى حضرة رسول الله - ﷺ -، وبدأت بالطائفة الإيجابيّة الخيّرة، هؤلاء الذين لو تَرك النبيّ - ﷺ - عند أحدهم قنطاراً من المال، أمانة عنده، لحافظ عليه، ولأدّاه إليه عند الطلب، وفي هذا ثناء من الله تعالى عليهم، والقنطار هو المال الكثير،(ابن منظور، محمد، 2011م). قال الإمام الطبري - رحمه الله - :(وهذا خبرٌ من الله - عزّ وجلّ - أنّ مِن أهل الكتاب - وهم اليهود من بني إسرائيل - أهلَ أمانة يؤدونها ولا يخونونها)،(الطبري، محمد،1997م)، وأورد الزمخشري - رحمه الله - خبراً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - يدل على أنّ الضمير الهاء في كلمة (تَأْمَنْهُ) الواردة في الآية الكريمة، يعود على عبد الله بن سلام - وهو مِن أحبار اليهود -، استودعه رجل من قريش ألفاً ومئتي أوقية ذهباً، فأدّاه إليه(الزمخشري، محمود، 1997م) وأضاف الإمام الرازي - رحمه الله – ثلاثة أقوال في تبيين الأمناء المقصودِين بالآية، الأول: أنّ أهل الأمانة منهم هم الذين أسلموا، فيكون نظير هذه الآية قوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران/113)، وقوله تعالى: (مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران/110). الثاني: أنّ أهل الأمانة هم النصارى، وأهل الخيانة هم اليهود، والدليل عليه أنّ مذهب اليهود يُحِلّ قتل المخالف، ويُحِلّ أخْذ ماله بأيّ طريق كان، الثالث: قال ابن عباس: أودع رجل عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأدى إليه، وأودع آخر فنحاص بن عازوراء دينارا فخانه فنزلت الآية (الرازي، محمد، 1997م)، ولا شك أنّ أهل الخيانة مَن بقوا على يهوديتهم، ومعلومٌ أنّ يهوديتَهم تُحِلّ لهم الخيانة وذكر النيسابوري السبب للقول الثاني وهو ـ أي السبب ـ غلبة الأمانة على النصارى، وغلبة الخيانة على اليهود(النيسابوري، حسن، 1996م). وكذا قال أبو السعود(أبو السعود، محمد، 1994م) وذهب أبو حيان - رحمه الله - إلى أنّ ظاهر الآية يدلّ على أنّ في النصارى مَن يُؤتمَن فيَفِي، ومَن يُؤتمَن فيخون، وقال:(وقيل: المراد بأهل الكتاب: اليهود، لأنّ هذا القول (ليس علينا في الأميين سبيل) لم يقله ولا يعتقده إلا اليهود) (أبو حيان، محمد، 2005م)، هذا ما ذكره أبو حيان، ويَفهم الباحث أنّ أبا حيان يقصد أنّ هذا موجود في النصارى حتى قبل إسلامهم، وهو ما يميل إليه الباحث، وسيأتي تفصيله - إنْ شاء الله -، وعند تفسير سيد قطب - رحمه الله - للآية الكريمة، بيّن أنَّ الآية تضمنت معاني الإنصاف والحق وعدم البخس وعدم الغُبن، في وصف حال أهل الكتاب، الذين كانوا يواجهون الجماعة المسلمة حينذاك، والتي لعلها حال أهل الكتاب في جميع الأجيال، فخصومة أهل الكتاب للإسلام والمسلمين، لم تجعل القرآن الكريم يبخس المحسنين منهم حقهم، حتى في معرِض الجدل والمواجهة، فهو هنا يقرّر أنّ من أهل الكتاب ناساً أمناء، لا يأكلون الحقوق مهما كانت ضخمة مغرية (قطب، سيد، 1992م) وهذا ما يميل إليه الباحث، فالآية الكريمة توحي بأنّ أداء الأمانة في الشيء الكثير، موجودٌ في بعض النصارى، وهم على نصرانيتهم. ولقد وصف النبيُّ - ﷺ - النجاشيَّ ملكَ الحبشة، بأنه ملك لا يُظلَم عنده أحد، قبل أنْ يُسلم، مما جعله - ﷺ - يُشير على أصحابه - ﷺ - بالهجرة إلى الحبشة، فراراً بدينهم من أذى المشركين (ابن هشام، عبد الملك)، ومعلوم أنّ ملك الحبشة كان نصرانيًّا، ولا بدّ من التنبيه أنّ اليهود هم أبعد الناس عن أداء الأمانة في القليل والكثير، فهم الذين أخبرنا الله تعالى عنهم أنهم قالوا:(ليس علينا في الأمّيّين سبيل)؛ مستحلّين بعقيدتهم الباطلة أعراض المسلمين ودماءهم وأموالهم، والتاريخ يثبت هذا قديمًا وحديثًا.

وفيما يتعلق بالجانب الفقهي من الآية الكريمة، ممّا له صلة بالحديث عن أهل الكتاب، مقدار القنطار، فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال:(الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ، كُلُّ أُوقِيَّةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)(ابن حبان،1408ه)، وقد حكم الشيخ شعيب الأرناؤوط للحديث بأنّ إسناده حسن. وقد اختلف الفقهاء في جواز حبس المدين، فقد ذهب الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ إلى جواز حبسه، قال القرطبي:(اسْتَدَلَّ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى مَذْهَبِهِ فِي مُلَازَمَةِ الْغَرِيمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:" إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً" وَأَبَاهُ سَائِرُ الْعُلَمَاءِ... وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ مِنْ عُلَمَائِنَا عَلَى حَبْسِ الْمِدْيَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:" وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً" فَإِذَا كَانَ لَهُ مُلَازَمَتُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّصَرُّفِ، جَازَ حَبْسُهُ) (القرطبي،1964).

هذا ومن الأساليب البلاغية في الآية الكريمة أسلوب التصوير، فقد صوّرت الآية الكريمة صاحب الحق في طلبه حقه من الكتابيّ بصورة الواقف على رأس ذلك الكتابيّ لا يتركه حتى يردّ عليه حقه، وذلك يشمل جميع أساليب الطلب، باللسان والمرافعات في المحاكم، وما شابه. ومن الأساليب البلاغية في الآية الكريمة أيضاً أسلوب الحذف، ففي قولهم: ليس علينا في الأميين سبيل، محذوف، تقديره: ليس علينا في أكل أموال الأميين سبيل، (الصابوني،1417ه).

ثانياً: الثناء الإيماني:

أثبت الله تعالى أنّ هناك طائفة مؤمنة من أهل الكتاب، مؤمنة بالإسلام الذي منّ الله تعالى به علينا وبلّغنا إياه رسولنا محمّدٌ ـ ﷺ ـ، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران/110).

لقد جاءت هذه الآية الكريمة عقب آيات فيها تعنيفٌ لأهل الكتاب بسبب كفرهم بالقرآن الكريم، وبالرّسول محمّد ـ ﷺ ـ، على الرّغم من كونهم شاهدين في أنفسهم على صدق الرسول محمّد ـ ﷺ ـ، بما أخبرهم به الله تعالى في كتبهم عن نَعت الرسول محمّد ـ ﷺ ـ، وبما طلبه منهم أنبياؤهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وجاءت عقب آيات حذَّرت المؤمنين من التشبّه بالكافرين في الكفر بالله وبالرّسول محمّد ـ ﷺ ـ، بعد البيّنات، فأخبرنا الله تعالى فيها بأنّ من أهل الكتاب مؤمنون صادقون، يؤمنون بالله تعالى، وبالرّسول محمّد ـ ﷺ ـ

المعنى الإجماليّ للآية:

يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين الذين آمنوا به - سبحانه - وبنبيّه محمّد - ﷺ -، فيُخبرهم أنهم خير جماعة جاءت للبشريّة كلّها، وأعلمهم - سبحانه - بسبب هذه الخيريّة، وهي ثلاثة أسباب أهَّلتهم إلى تلك الخيريّة، هي:

الأوّل: أمْرُهم بالمعروف، وأعظم المعروف الإيمان بالله تعالى، وبنبيّه محمّد - ﷺ -، وسُمّيَ معروفاً لأنه يعرفه أهل الإيمان بالله.

الثاني: نهْيُهم عن المنكر، وأبشع المنكر التكذيب بالله تعالى، وبنبيّه محمّد - ﷺ -، وسُمّيَ المنكر منكراً لأنه ينكره أهل الإيمان بالله(الطبري، محمد،1997م).

الثالث: إيمانهم بالله تعالى وحده وعدم الشرك به.

ثمّ عَطَفت الآية على أهل الكتاب، فدعاهم الله تعالى إلى الإيمان به، وترْك الكفر والعناد، مُنَوّهاً إلى وجود طائفة مؤمنة منهم، وفي هذا إشارة إلى علمه - سبحانه - بحالهم، وفيه كذلك إشادة بهم، وثناء عليهم، ومدح لهم بسبب إيمانهم بالله تعالى، وبرسوله محمّد - ﷺ -، ولا شك أنّ هؤلاء قدوة لغير المؤمنين، حتى يؤمنوا بالله وبنبيّه محمّد - ﷺ -، ويقتدوا بهم في ذلك.

ومن الواضح أنّ المؤمنين منهم قلة إلى جانب الكافرين منهم، قال الإمام الطبريّ - رحمه الله - مفسّراً للآية الكريمة:(يعني بذلك تعالى ذكره: ولو صدَّق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد - ﷺ -، وما جاءهم به من عند الله؛ لكان خيرًا لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم، "منهم المؤمنون"، يعني: من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، المؤمنون المصدِّقون رسول الله - ﷺ -، فيما جاءهم به من عند الله، وهم: عبد الله بن سلام وأخوه، وثعلبة بن سَعْيَة وأخوه، وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله "وأكثرهم الفاسقون"، يعني: الخارجون عن دينهم، وذلك أنّ من دين اليهود اتباعُ ما في التوراة والتصديقُ بمحمد - ﷺ -، ومن دين النصارى اتباعُ ما في الإنجيل، والتصديق به وبما في التوراة، وفي كلا الكتابين صفة محمد - ﷺ -) (الطبري، محمد،1997م).

ولا شك أنّ الضابط المعتمد في الثناء على أهل الكتاب هو إيمانهم بالله تعالى وعدم الشرك به، واتباع نبيّنا محمد ـ ﷺ ـ، فهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، قال تعالى:(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف/157).

ثالثاً: الثناء الدعويّ:

إنّ الذين آمنوا من أهل الكتاب لم يكتفوا بإيمانهم وحدهم بالله تعالى، بل تحرّكوا بذلك الإيمان داعين غيرهم إلى الإيمان بالله وحده، والتصديق بكل ما أمر الله به، وترك الكفر والشرك، وكانوا يتسارعون في ما بينهم في فعل الخيرات، وأداء الطاعات لله، قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) (آل عمران/113-115). جاءت هذه الآيات الكريمة في سياق التفريق بين أهل الكتاب، فبعضهم مؤمن، وبعضهم كافر، والآيات الثلاث السابقة ـ أعني من قوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً) إلى قوله تعالى: (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) ـ لها سبب نزول، قال النيسابوريّ:(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - وَمُقَاتِلٌ: لَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ وَأُسَيِدُ بْنُ سَعْيَةَ وَأَسَدُ بْنُ عُبَيْدٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ: مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ إِلَّا شِرَارُنَا، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَخْيَارِنَا لَمَا تَرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، وَقَالُوا لَهُمْ: لَقَدْ خَسِرْتُمْ حِينَ اسْتَبْدَلْتُمْ بِدِينِكُمْ دِينًا غَيْرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (لَيْسُوا سَوَاءً) **الْآيَةَ**(النيسابوري، علي،1992م)، (أخرجه البيهقي في الدلائل(533/2)، والطبراني في المعجم الكبير(87/2)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(327/6):(رواه الطبرانيّ، ورجاله ثقات)، وهذه الروايات فيها اختلاف يسير في بعض الألفاظ)، ومن خلال هذه الرواية الصحيحة في سبب نزول الآيات، نكون قد عرفنا أنّ هذه الآيات نزلت للرّد على اليهود، الذين ذَمُّوا مَن أسلم منهم؛ بهدف التشكيك في الإسلام. وفي الآيات كذلك ثناء من الله ـ تعالى ـ على المؤمنين من أهل الكتاب، الذين آمنوا بالله تعالى ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ـ ﷺ ـ نبيّاً ورسولاً. وقد سبق تلك الآياتِ آياتٌ تحدّثت عن الكافرين مِن أهل الكتاب، وأخبرَت عن صفاتهم، قال تعالى عنهم: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (آل عمران/112).

المعنى الإجمالي للآيتين ذات الصلة بالموضوع:

نفَى الله تعالى أنْ يتساوى أهل الكتاب فيما بينهم، إذ كيف يتساوى المؤمن مع الفاسق، والبرّ مع الفاجر، قال تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) (السجدة/18)، والواو في قوله تعالى(ليسوا) تعود على المؤمنين والكافرين من أهل الكتاب، الذين سبق ذِكْرهم في الآيات السابقة، وذلك في قوله تعالى: (وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران/110)، ولمّا كانت الآيات السابقة تتحدّث عن غير المؤمنين مِن أهل الكتاب، قال تعالى عنهم: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) (آل عمران) لمّا كان الأمر كذلك نبّهَتِ الآيةُ الكريمةُ التي بعدها إلى وجود فريق مؤمن مِن أهل الكتاب، وصَفَهمُ الله تعالى بأنهم أُمّة، والأُمّة معناها: كُلّ جماعة يَجْمَعُهم أمْرٌ ما، إمّا دِين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد(الأصفهاني، حسين).

ووصَفَ - سبحانه وتعالى - تلك(الأمّة) بأنها قائمة، والقيام يحْمِل معانيَ عدّة، منها العزيمة والثبات(الأصفهاني، حسين) والهدى والعدل والطاعة والاستقامة (الطبري، محمد،1997م) فتلك الجماعة مِن أهل الكتاب، التي أثنى عليها الله تعالى، جماعةٌ ذاتُ عزيمةٍ في طلب مرضاة الله تعالى، يَظهر هذا العزمُ على جوارحهم بالمحافظة على طاعته - عزّ وجلّ -، والثباتِ عليها، وإقامة العدل، والاستقامة على منهج الله تعالى، فهم على هدًى من الله، لا تغريهمُ الدنيا، ولا تُثنيْ عزيمتهم، عن تلاوة القرآن الكريم في ساعات الليل، والوقوفِ بين يديِ الله في الصلاة، والإيمانِ بالله تعالى واليومِ الآخر، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، والمسارعةِ في الخيرات.

قال الإمام الطبري - رحمه الله -:(فتأويل الكلام: مِن أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله، متمسكة به، ثابتة على العمل بما فيه وما سنّ لهم رسولُه - ﷺ -)(الطبري، محمد،1997م).

ومعنىٰ تمـ يتَّبعون، فقوله تعالى: (يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ) معناه: يتَّبعون آيات القرآن الكريم بالعلم والعمل، فالتلاوة لا تعني القراءة فقط، فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً(الأصفهاني، حسين)، وبذلك تكون التلاوة أشمل من القراءة. وهؤلاء المؤمنون مِن أهل الكتاب لا يكتفون بتلاوة آيات الله في النهار، بل يزيدون على ذلك بتلاوتها في ساعات الليل، قال الإمام ابن عطية - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: (يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران/110): (يتلون آيات الله آناء الليل مصلين) (ابن عطية، عبد الحق، 1422هـ)، ويشمل ذلك صلاة المغرب والعشاء وصلاة التهجّد(الطبري، محمد،1997م)، وهناك معنًى آخرُ يحتمله لفظ السجود، وهو الخضوع والخشوع، فيكون معنى قوله تعالى: (يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران/110): يتلون آيات القرآن الكريم في ساعات الليل وهم يخضعون ويخشعون لله؛ لأنّ العرب تُسمي الخشوع سجودًا، كقوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (النحل/49)(الرازي، محمد،1997م)، وليس المعنى أنهم يتلون الآيات حال سجودهم في الصّلاة؛ لأنّ التّلاوة لا تكون في الرّكوع ولا في السّجود(القرطبي، محمد)، رَوَى الإمام أحمد - رحمه الله - بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -:(ألا إنّي نُهِيْتُ أنْ أقرأ راكعًا أو ساجدًا)(الشيباني، أحمد بن حنبل،2001 م)، قال القرطبي:(وَهُمْ يَسْجُدُونَ أَيْ مَعَ الْقِيَامِ أَيْضًا)(القرطبي، محمد،1964)، وقوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ) معناه: يُصدِّقون بالله وبالبعث بعد الممات، ويَعلمون أنَّ الله مجازيهم بأعمالهم، وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانيّة الله، ويعبدون معه غيرَه، ويُكَذِّبون بالبعث بعد الممات، وينكرون المجازاةَ على الأعمال، والثواب والعقاب(الطبري، محمد،1997م).

ذكر الإمام الرازي - رحمه الله - عند تفسيره للآية، أنّ اليهود كانوا أيضًا يقومون في الليالي للتهجد وقراءة التوراة، فلمّا مَدَح المؤمنين بالتهجد وقراءة القرآن، أردف ذلك بقوله: (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ)، والإيمان بالله يستلزم الإيمان بجميع أنبيائه ورسله، والإيمان باليوم الآخر يستلزم الحذر من المعاصي، وهؤلاء اليهود ينكرون أنبياء الله، ولا يحترزون عن معاصي الله، فلم يحصل لهم الإيمان بالمبدأ والمعاد(الرازي، محمد،1997م) والإيمان بالله واليوم الآخر الذي التزم به المؤمنون من أهل الكتاب هو الذي جعلهم متصفين بصفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارعة في الخيرات، التي ذكرها الله تعالى بعد ذلك، فمن صفات أولئك المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا معناه أنهم يدْعون إلى الله تعالى، فهم لم يكتفوا بإيمانهم وحدهم بالله، بل تحرّكوا بإيمانهم يدعون الناس إلى الإيمان بالله وتعظيمه، والاعتقاد بأنه واحد أحد، فرد صمد، واحد في ذاته، وربوبيّته وألوهيّته، وأسمائه وصفاته، وينهونهم عن الشرك به، وعن نسبة الولد إليه، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، وينهونهم عن الانتقاص من حقّه - سبحانه -، وعدمِ تعظيمه، ويأمرون الناس كذلك بالإيمان بنبوّة سيّدنا محمد - ﷺ -، وبجميع الأنبياء والمرسلين، على أساس أنهم بشر، يبلغون رسالات الله تعالى إلى الناس، وكلُّ ما سبق بلا شك من أعظم أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثمّ يدخل بعد ذلك في معنى(المعروف) سائر أنواع الفضائل، ويدخل في معنى(المنكر) سائر أنواع الرّذائل. وهؤلاء القومُ يؤمنون باليوم الآخر، فهم يُصَدّقون بيوم القيامة، يصدّقون بأنهم ملاقو ربّهم، فهو مُجازيهم على أعمالهم،ومن صفات أهل الكتاب أولئك (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)، فهم ينشطون في الاندفاع في الخيراتِ، والخيراتُ جَمْعٌ يشمل جميع خصال الخير، التي تخطر ببال الإنسان فلا يعلم تفاصيل مجالاتها إلاّ الله تعالى، قال الإمام الرّازي - رحمه الله -:(وفيه وجهان أحدهما: أنهم يتبادرون إليها خوف الفوت بالموت، والآخر: يعملونها غير متثاقلين)(الرازي، محمد،1997م)، والوجهان جائزان مقبولان، فهم يخافون فوت فرصة القيام

بالأعمال الصالحة إذا جاءهم الموت، وعند قيامهم بالأعمال الصالحة يقومون بها على وجه النشاط والعزيمة، فلا تعارض بين الوجهين، وقد شهد الله تعالى لهذه الجماعة من أهل الكتاب بالصلاح، قال تعالى: (وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) وهو صلاح القلب والجوارح معًا، وهذه تزكية من الله تعالى لهم، وهو وسام رفيعٌ منحه الله تعالى لأولئك القوم، وشهادة الله تعالى لهم بالصلاح، دليل من الله تعالى لهم بالقبول عنده، والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وقوله تعالى: (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) فيه تطمين من الله تعالى لهم بحفظ كل خيرٍ يُقدّمونه في سبيل الله، فلن يضيع أيّ عمَل خيرٍ عملوه صغيرًا أو كبيرًا، وهذا مفهوم مِن دلالة كلمة(مِن) مِن قوله تعالى: (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) فهي(مِن) التبعيضية. ومعنى(فلن يكفروه) أي فلن يمنعوا ثوابه وجزاءه(الرازي، 1997، بتصرف)، فالخير الذي يفعلونه لا يضيع عند الله، بل يجزيهم به أوفر الجزاء(ابن كثير، 1991م)، وهذه الآية فيها تحبيب لغيرهم من أهل الكتاب، الذين ما زالوا مقيمين على كفرهم، أنْ يتركوا ما هم عليه من الكفر والشرك، ويلحقوا بذلك الرّكب، (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ): فالله - عزّ وجلّ - يَعْلمهم جميعَهم، فردًا فردًا، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم.

هذا ومن الأساليب البلاغية التي تضمنتها الآية الكريمة أسلوب التمثيل والتشبيه، وهو كائن في كلمة(قائمة)، في قوله تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (آل عمران/113)، قال ابن عاشور:(وَمَعْنَى قَائِمَةٌ أَنَّهُ تَمْثِيلٌ لِلْعَمَلِ بِدِينِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْحَقِّ، كَمَا يُقَالُ: سُوقٌ قَائِمَةٌ وَشَرِيعَةٌ قَائِمَةٌ) (ابن عاشور،1984)، فالقيام يدل على بذل الجهد والسعي في تحصيل المقصود. ومن الأساليب البلاغية التي تضمنتها الآية الكريمة أيضاً أسلوب المجاز، وذلك في قوله تعالى:(يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ)، فقد أطلق الكل وهو(آناء الليل) وأراد الجزء، قال أبو حيان:(قال السدي: (آناء الليل): جوفه وهو من إطلاق الكل على الجزء، إذ الجوف فرد من الجمع) (أبو حيان،1420هـ).

رابعًا: الثناء عليهم بثبوتهم على الحق:

بيّن لنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنّ هناك طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالله، وآمنوا بما أُنزل على النبيّ محمّد ـ ﷺ ـ، وآمنوا بما أُنزل إليهم، مع خشوعهم لله، وثبوتهم على الحق، وعدم التنازل عنه لعَرَض من الدنيا زائل، قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران/199). هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران كذلك، وقد سبق الحديث - كما أشار الباحث في الموضع السابق - إلى سبب نزول النصف الأول - على التقريب - من السورة، والذي ذكره الباحث على التفصيل في الموضع الأوّل، وتم هناك التعريف بالسورة، وهذه الآية الكريمة لها علاقة واضحة بذلك السبب، فهي تخبر عن جماعة من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، تؤمن بالله تعالى، وتؤمن بما أُنزل إلى المسلمين، وهو ما أنزله الله تعالى على قلب النبيّ محمدٍ - ﷺ -، وتؤمن بما أنزله الله تعالى إليهم في كتبهم، في التوراة والإنجيل، خاشعين لله، لم تفتنهم الدنيا عن طاعة الله.

ومما أورده العلماء في سبب نزول الآية الكريمة، ما ذكره النيسابوري - رحمه الله - بسنده عَنْ أَنَسٍ - ﷺ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمُ النَّجَاشِيِّ"، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَأْمُرُنَا أَنْ نُصَلِّيَ عَلَى عِلْجٍ مِنَ الْحَبَشَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) الْآيَةَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَابْنُ زَيْدٍ: نَزَلَتْ فِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّهِمْ(النيسابوري، علي،1992م)، فسبب نزول الآية موت النجاشي - رحمه الله -، وسؤال بعض الصحابة - ﷺ - أو غيرهم من المنافقين، سؤالِهِمُ النبيّ - ﷺ - عن سبب الاستغفار له والصلاة عليه، وقد مات - على ظنهم - وهو كافر. وقد ذكر الإمام الطبريّ - رحمه الله - ثلاثة أقوال في بيان المعنِيّ من أهل الكتاب المقصودين بالآية، أحدها: أنه النجاشيّ - رحمه الله -، والثاني: أنه عبد الله بن سلام - ﷺ -، والثالث: أنهم مُسْلِمَةُ أهلِ الكتاب من اليهود والنصارى من غير تخصيص، وهو ما رجّحه الإمام؛ لأنّ الآية جاءت عامّة، ولأنّ أسانيد الأخبار التي ذكرت أنه النجاشيّ أو عبد الله بن سلام أسانيدٌ فيها نظر عند الإمام، من غير أنْ يفصّل ذلك النظر(الطبري، محمد،1997م)، إلا أنّ هناك جماعة من علماء الحديث قد صححوا الأحاديث التي تخبر بأنّ الآية نزلت في النجاشيّ، منهم الهيثميّ(الهيثميّ،1994م)، والذهبيّ(الذهبيّ،1990م)، وهو ما يرجّحه الباحث؛ لصحة الأحاديث فيه، والعبرة - لا شك بعد ذلك - تبقى بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما يقول العلماء. (الزركشي، 1988م).

مناسبة ترتيب الآية:

اجتهد بعض علماء التفسير في بيان مناسبة تلك الآية للآيات التي سبقتها، فلاحظوا أنّ الله تعالى ذَكَرَ في آيات سابقة من السورة أنّ من صفات أهل الكتاب نبذ الميثاق، وتحريف الكتاب، وغير ذلك. فجاءت هذه الجملة: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) (أبوالسعود،1994م) جملة مستأنفة سيقت لبيان أنّ أهل الكتاب ليس كلهم كذلك، بل منهم مَن له مناقب جليلة.

ومما يُمكن ملاحظته لمَن يتدبّر الآية أنّ الله تعالى ذكر قبل أولئك المؤمنين من أهل الكتاب جماعتين من الناس، جماعة الكافرين، وجماعة المؤمنين، قال تعالى: (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198) (آل عمران)، فجاءت الآية التي نحن بصددها تضيف إلى دائرة المتقين الموعودين بالجنات، المذكورين في الآية السابقة، تضيف إليهم المتقين من أهل الكتاب، وهم الذين آمنوا بالله تعالى، وبنبيّه - ﷺ -، فتتّسع الدائرة، وتتعدّد دلالة المتقين.

وهذه مناسبة أخرى نبّه الله تعالى إليها الباحث، لم أجدها في كتب التفسير التي تيسّر ليَ الاطلاع عليها، وهي أنّ هذه الآية جاءت في أعقاب قوله تعالى - حكاية عن المؤمنين -: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) (آل عمران/193) فبمجرّد سماعهم مَن يناديهم للإيمان آمنوا، ولم تذكر الآية أمْر الرؤية، وصحيحٌ أنّها لم تنفها، إلاّ أنّها لم تذكرها، فلم يقُلِ الله تعالى: ربنا إنّنا رأينا مناديًا، إنّما قال: (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا) والنجاشي - رحمه الله - آمن بالنبيّ - ﷺ - بمجرّد السماع به، دون أنْ يراه، فناسب ذكره هنا، والله تعالى أعلم.

المعنى الإجماليّ للآية الكريمة:

قال الإمام الطبريّ - رحمه الله -:(فتأويل الآية:"وإنّ من أهل الكتاب" التوراة والإنجيل، "لَمَن يؤمن بالله" فيقرّ بوحدانيته، "وما أُنزل إليكم"، أيها المؤمنون، يقول: وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد - ﷺ -،"وما أُنزل إليهم"، يعني: وما أُنزل على أهل الكتاب من الكتب، وذلك التوراة والإنجيل والزبور، "خاشعين لله"، يعني: خاضعين لله بالطاعة، مستكينين له بها متذلّلين، "لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا"، يقول: لا يحرّفون ما أنزل إليهم في كتبه من نعت محمد - ﷺ - فيبدّلونه، ولا غير ذلك من أحكامه وحُججه فيه، لِعَرَضٍ من الدنيا خسيسٍ يُعطَوْنه على ذلك التبديل، وابتغاء الرياسة على الجُهّال، ولكنْ ينقادون للحق، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه، وينتهون عما نهاهم عنه فيها، ويؤثِرون أمرَ الله تعالى على هَوَى أنفسهم، "أولئك لهم أجرهم"، هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم،"لهم أجرهم"، يعني: لهم عَوَضُ أعمالِهِمُ التي عمِلوها، وثوابُ طاعتِهم ربَّهم فيما أطاعوه فيه،"عند ربهم" يعني: مذخورٌ ذلك لهم لديه، حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفّيهم ذلك، "إنّ الله سريع الحساب"، وسرعة حسابه ـ تعالى ذِكْره ـ: أنّه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أنْ يعملوها، وبعد ما عملوها، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك، فيقع في الإحصاء إبطاء، فلذلك قال:"إنَّ الله سريع الحساب")(الطبري، محمد،1997م)، لقد وصف الله تعالى المؤمنين مِن أهل الكتاب في هذه الآيات بخمس صفات:

الأولى: الإيمان بالله.

الثانية: الإيمان بما أنزل الله على محمد - ﷺ -.

الثالثة: الإيمان بما أنزل الله على الأنبياء الذين كانوا قبل محمد - ﷺ -.

الرابعة: الخشوع لله، والخشوع في اللغة معناه: التطامُن، يقال: خَشَعَ، إذا تطامَن وطأطأ رأسه(ابن فارس، أحمد)، واصطلاحًا: التواضع لله بالقلب والجوارح(الجرجاني، علي،1983م).

الخامسة: أنّهم لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، كما يفعله أهل الكتاب، ممّن كان يكتم أمْر الرسول وصحة نبوّته - ﷺ -(الرازي، محمد،1997م).

إنّ هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب لم يكتموا ما بأيديهم من البِشارة بمحمد - ﷺ -، وذِكْرِ صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خِيَرَةُ أهل الكتاب وصفوتُهم، سواء كانوا يهودًا أو نصارى. وهذه الصفات توجد في اليهود، ولكنْ قليلاً، كما وُجِد في عبد الله بن سلام - ﷺ - وأمثاله، مِمّن آمن مِن أحبار اليهود، ولم يبلغوا عشرة أنفس، وأمّا النصارى فكثير منهم يهتدون، وينقادون للحق، وقد ثبت في الحديث، أنّ جعفر بنَ أبي طالب - ﷺ -، لمّا قرأ سورة(كهيعص) بحضرة النجاشيّ ملكِ الحبشة، وعنده البطارقة والقساوسة، بكى وبكَوا معه، حتى أخضبوا لحاهم(ابن كثير، إسماعيل،1991م)، فالنجاشيّ من الموقنين بأنّ الرسول - ﷺ - إنّما جاء برسالة الإسلام والأمن والسلام لكل العالم في ظل الإسلام(أبو حسّان، 2018، ص 137)، وفي تقديم إيمان أهل الكتاب بالقرآن الكريم على إيمانهم بالتوراة والإنجيل في قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) (آل عمران/199)، علمًا أنّ ما أُنزل إليهم كان قبل نزول القرآن الكريم، فسببه أنّ القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السماوية التي نزلت قبله، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة/48) فهو ناسخ لأحكامها، وحتى ما كان ثابتًا منها ولم يُنسَخ، فلا يُعتدُّ بثبوته إذا لم يَثْبت في القرآن الكريم(أبو السعود، محمد) والمقصود بإيمانهم بما أُنزِل إليهم إيمانهم بما أنزله الله تعالى إليهم على وجه الحقيقة، دون ما حرّفه الخبثاء من أهل الكتاب ونسبوه إلى الله، فلا شكّ أنّ المؤمنين من أهل الكتاب يكفرون بما وقع فيه التحريف مِن كتبهم، ويُصَدّقون وقوع التحريف، ويُثْبتون فيه أدلة نبوة محمد ـ ﷺ ـ، والمبشّرات به، ويمقتون المحرّفين المُغيّرين لكلام الله تعالى.

هذا وإنّ مما يتعلق بالآية من الجانب الفقهي ما استدل به العلماء من جواز الصلاة على الغائب،(القرطبي،1964).

المطلب الثاني: أسباب الثناء على مَن آمن مِن أهل الكتاب في القرآن الكريم:

إنّ السبب الرئيسي في ثناء الله تعالى على مَن آمن مِن أهل الكتاب هو إنصافهم، فما ذكره الله تعالى من الصفات الإيجابيّة لأهل الكتاب إنّما يأتي مؤكدًا لهذا السبب، ومن الحقائق التي يحسن التذكير بها أنّ عِلْم الله تعالى علم واسع شامل، وقد أخبرنا الله تعالى بحقيقة، وهي أنّ ما يفعله أهل الكتاب من خير فهو معلوم عنده ـ سبحانه ـ، قال تعالى: (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) (آل عمران، 115)، ولا بدّ من التنبيه إلى حقيقة مهمة أخرى، وهي أنّ ثناء الله تعالى على مَن آمن مِن أهل الكتاب لا يدلّ على إقرارهم على باطل، ولا يمكن أن نفهم أنّ الله تعالى أثنى عليهم وهم

باقون على دينهم الذي شوّهوه وحرّفوه، وإنّ أيّ خير يفعله الإنسان إذا كان مشركًا بالله تعالى فلن يُقبَل في ميزان الله، قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف، ١١٠)، هذا ويمكن إيجاز أسباب الثناء على أهل الكتاب على النحو الآتي:

أولاً: أداء الأمانة:

إنّ من أسباب ثناء الله تعالى على مَن أثنى عليهم مِن أهل الكتاب ـ مَن آمن منهم ـ حِفْظُهم للأمانة مهما عَظُمت، وأداؤها إلى صاحبها حين يطلبها، وهذه الصفة ليست عامة في أهل الكتاب، فأهل الكتاب خائنون للأمانة، إلا فئة قليلة منهم، قال تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) الآية(آل عمران/75)، وجاء في الإنجيل:(الأمين في القليل أمينٌ في الكثير. والظالم في القليل ظالم أيضًا في الكثير)(لوقا/10_16). إنّ هذا المعنى الموجود في الإنجيل لا يغيّر صفة التحريف والتبديل، التي وصف الله تعالى بهما التوراة والإنجيل، قال تعالى: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة/٧٩)، إنّ ممّا لا شك فيه أنّ أيّ خُلُق من الأخلاق الحميدة إذا ورد في التوراة والإنجيل، فهو خلق مقبول، كخُلُق الأمانة، ولا شك أنّ أكثر اليهود والنصارى قد تخلّوا عن خلق الأمانة، وما تحريفهم لكتاب الله تعالى إلا من أعظم الأدلة على ذلك، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة: ١٧٤). هذا وبعد الاطلاع على بعض النصوص الموجودة في الإنجيل، التي ذَكَرْتُ بعضها آنفًا، فإنّ صفة الأمانة التي قد يتحلى بها قِلة من اليهود وبعض النصارى، لا يمكن أن يكون سببها شيء في النفْس فقط، يتفاوت فيه البشر، ولا علاقة له بموضوع الدّين كما ذكر الدكتور المجالي ـ حفظه الله ـ في بحثه(المجالي،2018، ص17_18)، فالذي أرجحه هو السببان معاً، إذ ليس من الإنصاف أن ننفيَ تأثير مثل ذلك النصّ الذي ذَكَرْتُه من الإنجيل على الإطلاق، فاحتمال التأثير يبقى قائمًا، وليس هذا تعديلاً لدينهم، ولا لصفاتهم بالكلية.

قال الثعلبي:(قال أكثر المفسّرين: نزلت هذه الآية في اليهود كلّهم، أخبر الله تعالى إنّ فيهم أمانة وخيانة... فإن قيل: فأيّ فائدة في هذه الأخبار وقد علمنا أنّ النّاس كلّهم لم يزالوا كذلك منهم الأمين ومنهم الخائن؟ قلنا: تحذير من الله تعالى للمؤمنين أن يأتمونهم على أموالهم أو يغترّوا بهم لاستحلالهم أموال المؤمنين. وقال بعضهم: الأمانة راجعة إلى من أسلم منهم، والخيانة راجعة إلى من لم يسلم منهم... وفي بعض التفاسير: إنّ الّذي يؤدّي الأمانة في هذه الآية هم النصارى، والذين لا يؤدّونه هم اليهود) (الثعلبي، 1422ه). وبمثل هذا القول قال ابن الجوزي، (ابن الجوزي، 1422ه). وقال البيضاوي:(وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب عليهم الخيانة)، (البيضاوي، 1418ه)، هكذا قال البيضاوي في تفسيره دون تعليق على هذا القول، ويرى الباحث أنّ ما نقله البيضاوي يحتاج إلى مراجعة في قسْمه الأول، أعني ما يتعلق بالنصارى، فالنصارى قد يكون بعضهم مؤدياً لمَا يؤتمن عليه، أمّا أن نُطلق القول بأنّ كثيراً منهم كذلك فلا أراه صواباً، وما نقله من القول في القسم الثاني، أعني ما يتعلق باليهود، فلا بد من التنبيه إلى أنه إذا وُجد فيهم المؤتمن فهو قليل جداً، فأكثرهم فاسدون فاجرون ملعونون، قال تعالى:(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (المائدة/78). وقال الشوكاني:(أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة في قوله: ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك قال: هذا من النصارى ومنهم من إن تأمنه بدينار قال: هذا من اليهود) (الشوكاني، 1414ه).

وقد فهم بعض المفسرين أنّ المقصود بأهل الكتاب الذين أثنى عليهم الله تعالى بأدائهم للأمانة، هم الذين يؤدونها وهم على دينهم، قال ابن عاشور:(وَتَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ فِي قَوْلِهِ: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتابِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ مَضْمُونِ صِلَةِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمَا: فَفِي الْأَوَّلِ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ قُوَّةِ الْأَمَانَةِ، مَعَ إِمْكَانِ الْخِيَانَةِ وَوُجُودِ الْعُذْرِ لَهُ فِي عَادَةِ أَهْلِ دِينِهِ، وَفِي الثَّانِي لِلتَّعْجِيبِ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْخَوْنُ خُلُقًا لِمُتَّبِعِ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ) (ابن عاشور،1984م). فقوله:(ووجود العذر له في عادة دينه) يتعلق بدينه الباطل الذي هو عليه.

وهنا لا بدّ من التنبيه إلى أنّ اتصاف قلة من النصارى بصفة أداء الأمانة لا ينبغي ولا يحقّ لإنسان كائن مَن كان أن يأخذ منه دليلاً على جواز إطلاق صفة الإيمان على النصارى، ولا بدّ من التنبيه أيضاً إلى أنّ النصرانيّ أو غيره مهما عمل من خير كأداء الأمانة أو نحو ذلك فإنّ ذلك لا يَغفر له كفره وشركه بالله تعالى، ولا يُدخله الجنة، قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء/116)، فاليهود والنصارى كافرون بالله تعالى ما داموا لم يؤمنوا بالإسلام، وهذا بنصّ القرآن الكريم، قال تعالى:(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران/85).

ولا بد من التنبيه أيضاً إلى أنّ الشرائع السماوية ـ ولا أقول الأديان السماوية لأنّ الدين السماوي واحد وهو الإسلام فقط كما ذكر الله تعالى في الآية السابقة ـ كلها دعت إلى الأخلاق الحميدة، وذمّ السيئة، كالخيانة والسرقة، ونحوها، وأنّ الفطرة الإنسانية السليمة تميّز بين الخير والشر، ثم تأتي الشرائع لتثبت هذه الأخلاق، وتجازي عليها في الدنيا والآخرة، فمن أهل الكتاب ما زال على فطرته السليمة لا يكذب، ومن المسلمين من ابتعد عن فطرته فيسرق ويكذب ويغدر.

ثانيًا: إيمانهم بالله تعالى وبجميع الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ:

لقد آمن بعض اليهود وبعض النصارى بالله وحده ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ـ ﷺ ـ نبياً ورسولاً، وبجميع ما أمر الله تعالى به، ولم يفرّقوا بين أحد من رسله، وصاروا يتلون القرآن الكريم آناء الليل، ويتحرّكون به في النهار أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، فزكاهم الله تعالى، وأدخلهم في عباده الصّالحين المتّقين، فنالوا بسبب ذلك الثناء من الله تعالى، قال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)) (آل عمران/113-115).

ثالثاً: تضحيتهم في سبيل الله تعالى وثباتهم على الحق:

وهذا السبب يمكن فهمه واستنباطه من قوله تعالى ـ في حقّ مَن آمن مِن أهل الكتاب ـ: (لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) (آل عمران/199)، فممّا لا شك فيه أنّ إيمانهم بالله وحده، وتركهم ما عليه قومهم من الشرك والباطل لم يكن أمراً هيناً، فقد ضحّوا في سبيل الله، وتركوا أموالهم وبيوتهم ومناصبهم، ولم يأبهوا لمعاداة قومهم ومحاربتهم لهم، وتحمّلوا أذاهم، فنالوا بهذه التضحية وذلك الثبات ما نالوا من ثناء الله تعالى عليهم بقوله ـ سبحانه ـ: (لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) (آل عمران/199)، قال الإمام الطبريّ ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية الكريمة:(لا يحرّفون ما أنزل إليهم في كتبه، من نعت محمد ـ ﷺ ـ فيبدّلونه، ولا غير ذلك من أحكامه وحُججه فيه، لِعَرَضٍ من الدنيا خسيسٍ يُعطَوْنه على ذلك التبديل، وابتغاء الرياسة على الجُهّال، ولكنْ ينقادون للحق، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه، وينتهون عما نهاهم عنه فيها، ويؤثِرون أمرَ الله تعالى على هَوَى أنفسهم)(الطبري، محمد،1997م).

المطلب الثالث: الأثر المترتب على الثناء على مَن آمن مِن أهل الكتاب في القرآن الكريم:

لا شك أنّ الله تعالى ما أنزل كتابه إلا لحِكَمٍ جليلة، وإنّ الثمار المترتبة على ثناء الله تعالى على مَن أثنى عليهم ممن آمن مِن أهل الكتاب ثمار متنوّعة، منها:

أولاً: تثبيت مَن آمن مِن أهل الكتاب على الإيمان:

وهذا الأثر مستفاد من ذِكْر الله تعالى لتلك الطائفة المؤمنة في القرآن الكريم، ففي ذِكْر الله لهم تعزيز لنفوسهم، وربط على قلوبهم بالثبات على الإسلام، وعدم التخلي عنه قيد أنملة، بل والتضحية من أجله، للفوز بمرضاة الله ـ عز وجلّ ـ، إذ هكذا تفعل بشاشة الإيمان إذا باشرت القلوب.

ثانياً: دعوة المؤمنين مِن أهل الكتاب لغيرهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك الكفر والعناد، وهذا الأثر مستفاد من قوله تعالى: (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (آل عمران/114)، ومن أعظم المعروف الدعوة إلى الدين الحق، دين الإسلام، ومن أبشع المنكر الشرك بالله والكفر به.

ثالثاً: تعليم المؤمنين خُلُق الإنصاف، بذكْر محاسن المخالفين، والإشادة بها إذا وُجِدت منهم:

وهذا الأثر مستفاد من قوله تعالى:(وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) (آل عمران/75)، وذِكْر الله تعالى لصفة الأمانة لمن اتصف بها ممن آمن مِن أهل الكتاب يدلّ على هذا المعنى.

رابعاً: زيادة اليقين بأنّ الله تعالى مطلع على أحوال الناس، مؤمنهم وكافرهم، وأنه لا يخفى عليه شيء من أمورهم:

وهذا الأثر مستفاد من الإيمان بصدْق ما جاء في القرآن الكريم من أخبار، فعندما يعلم المسلم القارئ للقرآن الكريم أنّ الله تعالى أخبر بأنّ هناك طائفة من أهل الكتاب، قد آمنت بالله، وصدّقت بما جاء من عند الله، فهذا مما يزيد المسلم يقيناً بعلم الله تعالى الواسع الشامل الدقيق.

خامساً: الدعوة إلى الإقبال على الطاعات وفعل الخيرات، والخوف من المعاصي والمنكرات:

وهذا الأثر مستفاد من الوقوف على إخبار الله تعالى بأنّ هناك طائفة من أهل الكتاب تقوم الليل وتتلو آيات القرآن الكريم، وأنها مهما فعلت من خير فهو محفوظ عند الله تعالى، وسيثيبهم عليه أضعافاً مضاعفة، قال تعالى: (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) (آل عمران/115)، وهذا بلا شك يدفع المؤمن نحو فعل الخير، وترك الشر، طاعة لله تعالى، وطلباً لرضاه.

المطلب الرابع: من الآيات الذامة لأهل الكتاب في سورة آل عمران:

كان الحديث فيما سبق عن الآيات التي أثنت على مَن آمن مِن أهل الكتاب، ومن المناسب التذكير ببعض الآيات التي ذمّت مَن بقي على كفره من أهل الكتاب، ولا يمكن الكتابة عنها بالتفصيل؛ لأنّ هذا يستغرق رسالة علمية، ولا يكفيه بحث محكّم، يُشترط فيه عدد محدّد من الكلمات، وليس فقط من الصفحات.

هذا وإنّ الآيات التي ذمّت الكافرين من أهل الكتاب أكثر من الآيات التي أثنت على من آمن منهم، بسبب كثرة من بقي على كفره، وقلة من آمن، وهذه بعض الآيات الذامّة:

ـ قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) (آل عمران/4)، وهذا يشمل المشركين واليهود والنصارى، (ابن عاشور،1984).

ـ وقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لَا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران/6)، وهذا فيه تعريض بالرّد على النصارى الذين يعتقدون بألوهية سيدنا عيسى .على نبينا وعليه الصلاة والسلام .،(ابن عاشور،1984).

ـ وقوله تعالى:(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) (آل عمران/7)، قال طنطاوي:(هذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران) (طنطاوي،1997). وقوله:(في ذلك الوقت) يقصد وقت نزول تلك الآية الكريمة.

ـ وقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) (آل عمران/10)

ـ وقوله تعالى:(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران/19).

ـ وقوله تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (آل عمران/25.23).

ـ وقوله تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران/53).

ـ وقوله تعالى:(وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران/57.54).

ـ وقوله تعالى:(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (آل عمران/74.61).

ـ وقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران/78.77).

ـ وقوله تعالى:(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (آل عمران/86). قال الزحيلي:(هذه الآية نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى، رأوا نعت النبي صلّى الله عليه وسلّم في كتابهم، وأقروا بذلك، وشهدوا أنه حق، ولذا كانوا يستفتحون به على المشركين، فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك، وأنكروه، وكفروا به بعد إيمان سابق) (الزحيلي،1418هـ).

كانت تلك بعض الآيات التي ذمّت من بقي على كفره من أهل الكتاب، ولا شك أن الصفات السلبية لأهل الكتاب أكبر بكثير جداً من الآيات التي أثنت عليهم؛ لقلة من آمن منهم، وكثرة من كفر.

الخاتمة وأهم النتائج:

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

أمّا بعد...

فإنّي أحمَد الله تعالى، الذي أعانني على كتابة هذا البحث، وقد حاولت بذل الجهد في جمع الآيات، التي حملت في طيّاتها الثناء على أهل الكتاب، من خلال سورة آل عمران، فبيّنْتُ الصفات الإيجابيّة الطيّبة، التي اتصف بها المؤمنون من أهل الكتاب، لعلها تكون حافزًا ودافعًا لغير المؤمنين منهم، إلى الإيمان بالله، والانضمام إلى جماعة المتقين، فيَنْجُون من عذاب الله.

هذا ومن أهمّ نتائج البحث التي توصّل إليها الباحث ما يأتي:

أولاً: إنّ قوله تعالى: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) (آل عمران/75) يدلّ على أنّ صفةَ أداءِ الأمانةِ صفةٌ متمثّلةٌ في بعض أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، وهم على يهوديّتهم ونصرانيّتهم، وليس هناك دليلٌ على اشتراط إسلامهم ليتّصفوا بصفة الأمانة، وهذا لا يدل على جواز وصفهم بالإيمان من قريب أو بعيد، ولا يدل على نجاتهم من عذاب الله يوم القيامة بسبب شركهم بالله تعالى، فإنّ الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (النساء/116).

ثانياً: إنّ إثبات القرآن الكريم لصفة الأمانة لغير المسلمين من اليهود والنصارى، لهو من أعظم الأدلة على إنصاف القرآن الكريم لغير المسلمين، وهو دليل يُضاف إلى أدلة كثيرة على عظمة القرآن الكريم، وأنه من عند إله عادل لا يُظلم عنده أحد، وهذا لا يغنيهم عن الإيمان بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمّد ـ ﷺ ـ نبيّاً ورسولاً، قال تعالى:(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) (الأنعام/158)، فلا جَرَم أنه يجب عليهم تحقيق جميع أركان الإسلام وأركان الإيمان كلها، حتى يجوز وصفهم بصفة الإيمان.

ثالثاً: تعدّدت الصفاتُ الإيجابيّة الخيّرة التي اتصف بها مَن آمن مِن أهل الكتاب، والتي ذكرتها سورة آل عمران، وكان منها:

أولاً: الإيمان بالله تعالى على الوجه الذي يليق به - عزّ وجلّ -.

ثانياً: الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله، دون تفريق، من سيدنا آدم إلى سيدنا محمّد ـ عليهم الصلاة والسلام جميعاً ـ

ثالثاً: الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله.

رابعاً: الإيمان باليوم الآخر.

وغيرها من صفات الخير التي ذكرتها سورة آل عمران في حق مَن آمن مِن أهل الكتاب، أمّا مَن لم يؤمن فيكفيه ذمّاً وقبحاً عدم الإيمان.

رابعاً: إنّ اتصاف المؤمنين مِن أهل الكتاب بالصفات السابقة، يؤكّد أنّ تلك الصفات هي الصفات الموافقة للفطرة السليمة، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم/30).

خامساً: تبيّن بعد البحث أنّ قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران/199)، قد نزل بسبب موت النجاشيّ - رحمه الله - على الإسلام، وسؤال بعض الصحابة - ﷺ - ممن يغلب على ظني أنهم لم يعلموا بإسلام النجاشي، ولا يمنع أنْ يكون بعض السائلين من المنافقين -، سألوا النبيّ - ﷺ - عن سبب إرادته الصلاة على النجاشي - رحمه الله - فنزلت الآية الكريمة.

سادساً: إنّ إيمان طائفة من أهل الكتاب بالإسلام، لَدليل مِن أدلّةٍ كثيرة على صدْق نبوّة سيّدنا محمّدٍ ـ ﷺ ـ، فالمؤمن الحقيقيّ هو الذي يؤمن بجميع الأنبياء والرّسل، ولا يفرّق بين أحد منهم.

سابعاً: إنّ الأعمال الخيرة والأخلاق الحسنة قد تصدر عن المسلم وغير المسلم، وجميعهم يستحق عليها الثناء، لكنها في ميزان الله تعالى تُقبَل على أساس الإيمان به وحده ـ سبحانه وتعالى ـ، والتصديق بجميع رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(النحل/97).

التوصيات:

توصي الدراسة بتتبّع الآيات التي فيها ثناء على أهل الكتاب، في باقي سور القرآن الكريم، واستنباط دلالاتها، والوقوف على أنواع الثناء فيها، وأسبابه، والأثر المترتب عليه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن حبان، م. (1988). *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. (ط1). مؤسسة الرسالة.

ابن عطية، ع. (2020). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أ، (د.ت). *معجم مقاييس اللغة*. دار الجيل.

ابن منظور، ج. (2011). *لسان العرب*. (ط7). دار صادر.

. أبو حسّان، م. (2018). تفاعل السلوك الدعويّ والقياديّ والإداريّ في الحاكم الجيد: دراسة تحليلية لصلح الحديبية. *مجلة الثقافة، جامعة السلطان أزلن شاه*، 8(2)، 137.

أبو حيّان، م. (2005). *البحر المحيط*. دار الفكر.- الأصفهاني، ح. (د.ت). *المفردات في غريب القرآن*. دار المعرفة.

البيهقي، أ. (1988). *دلائل النبوة*. (ط1). دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.

الثعلبي، أ. (2002). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. (ط1). دار إحياء التراث العربي.

الجرجاني، ع. (1983). *التعريفات*. دار الكتب العلمية.

الرازي، م. (1997). *التفسير الكبير*. (ط2). دار إحياء التراث العربي.

الزحيلي، و. (1998). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. (ط2). دار الفكر المعاصر.

الزركشي، م. (1988). *البرهان في علوم القرآن*. دار الجيل.

الزمخشري، م. (1997). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (ط1). دار إحياء التراث العربي.

الشوكاني، م. (1994). *فتح القدير*. (ط1). دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

الشيباني، أ. (2001). *مسند الإمام أحمد*. مؤسسة الرسالة.

الطبراني، س. (د.ت). *المعجم الكبير*. (ط2). مكتبة ابن تيمية.

الطبري، م. (1997). *جامع البيان في تأويل القرآن*. (ط2). دار الكتب العلمية.

طنطاوي، م. (1997). التفسير *الوسيط للقرآن الكريم*. (ط1). دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

العمادي، م. (1994). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (ط4)، دار إحياء التراث العربي.

القرطبي، م. (1996). *الجامع لأحكام القرآن*. (ط2). دار الكتب المصرية.

قطب، س. (1992). *في ظلال القرآن*. (ط17). دار الشروق.

النيسابوري، ح. (1996). *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. دار الكتب العلمية.

النيسابوري، ع. (1992). *أسباب النزول*. (ط2). دار الإصلاح.

هشام، ع. (1992). *السيرة النبوية*. دار الخير.

الهيثمي، ن. (1994). *الزوائد ومنبع الفوائد*. مكتبة القدسي.

References

The Holy Quran.

Al-Isfahani, H. (n.d). *Vocabulary in Gharib Al-Qur'an*. Dar Al-Ma'rifah.

Al-Razi, M. (1997). *The Great Interpretation*. (2nd ed.). Ihya Al-Turath Al-Arabi.

Al-Tabari, M. (1997). *Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an*. (2nd ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Zuhaili, W. (1998). *Al-Tafseer Al-Munir in Creed*. (2nd ed.). Dar Al-Fikr Al-Moasr.

Ibn Manzoor, C. (2011). *Lisan al-Arab*. (7th ed.). Dar Sader.

Abu Hassan, M. (2018). The interaction of advocacy, leadership and administrative behavior in the good ruler: An analytical study of the Treaty of Hudaybiyyah. *Journal of Culture, Sultan Azlin Shah University*, 8(2), 137.

Abu Hayyan, M. (2005). *Al-Bahr Al-Muheet*. Dar Al-Fikr.

Al-Bayhaqi, A. (1988). *Evidence of Prophecy*. House of scientific books, Al Rayyan Heritage House.

Al-Emadi, M. (1994). *Guiding the Right Mind to the Advantages of the Holy Book*. (4th ed.). Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi.

Al-Haythami, N. (1994). *The Complex of Appendices and the Source of Benefits*. Al-Qudsi Library.

Al-Jurjani, P. (1983). *Definitions*. House of scientific books.

Al-Nisaburi, A. (1992). *Reasons for descent*. (2nd ed.). Dar al-Islah.

Al-Nisaburi, H. (1996). *Strange things of the Qur'an and Raga'ib al-Furqan*. Dar al-Kutub al-'ilmiyyah.

Al-Qurtubi, M. (1996). *The Collector of the Rulings of the Qur'an*. (2nd ed.). Egyptian Book House.

Al-Shaibani, A. (2001). *Musnad Imam Ahmad*. Al-Risala Foundation.

Al-Shawkani, M. (1994). *Fath al-Qadir*. (1st ed.). Dar Ibn Katheer, Dar Al-Kalam Al-Tayyib.

Al-Tabarani, S. (n.d). *The Great Lexicon*. (2nd ed.). Ibn Taymiyyah Library.

Al-Thalabi, A. (2002). *Disclosure and statement on the interpretation of the Qur'an*. (1st ed.). Arab Heritage Revival House.

Al-Zamakhshari, M. (1997). *The Scout on the Realities of Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation*. (1st ed.). Dar Revival of Arab Heritage.

Al-Zarkashi, M. (1988). *Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an*. Dar Al-Jil.

Hisham, P. (1992). *Biography of the Prophet*. Dar Al-Khair.

Ibn Attia, P. (2020). *The brief editor in the interpretation of the dear book*. House of scientific books.

Ibn Faris, A. (n.d). *Lexicon of Language Measures*. Dar Al-Jil.

Qutb, S. (1992). *In the Shadows of the Qur'an*. (17th ed.). Dar Al-Shorouk.

Tantawi, M. (1997). *The Intermediate Interpretation of the Holy Qur'an*. (1st ed.). Dar Nahdat Misr for Printing, Publishing and Distribution.